عرّاف القرية

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

عراف القرية

اسم المؤلف: محمد سيد

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2021/14905

الترقيم الدولي: 978-977-6634-69-5

الطبعة الأولى: 2021

محمد سيد

عرَّاف القرية

رواية

دارك
للنشر والتوزيع

(إهداء)

إلى أبي.. كل يـوم أفتقـدك أكـثر مـن الأمـس، ولكنـي سـمعت يومـًا أن البكـاء يزعـج مَـن فارقونـا فسـامحني إن نزلـت دموعـي سرًا فهـي شـوقًا إليـك لا اعتراضًـا.. سـلام إلى عينيـك النـائمتين منـذ مـدة طويلـة، وسـلام عـلى رائحتـك المختبئـة في جـوف الأرض، جعلـك اللـه في جنـات النعيـم ورزقنـي رؤيتـك في الجنـة.

(تمهيد)

يجلس الصبي (المعتصم) ابن الأربعة عشر عامًا، شاردًا على مقعد مهترئ بقطار مزدحم وبجانبه أمه وعلى ملامحها الحزن وهي تحمل أخاه الصغير والذي لم يتجاوز الأربعةُ أعوام صرخ الطفل فضمته لتهدئه، شرد الصبي متذكرًا ما حدث منذ بضع ساعات لأبيه وهو يطل من خلف زجاج باهت على تلك الأعمدة المتلاحقة، تذكَّر آخر ليلة في قرية (الحسنية) وكيف طُردوا جميعًا منها بلا رحمة، تذكَّر وهو عائد من مدرسته يحمل حقيبته المدرسية على ظهره متجهًا إلى منزله، يرى الرجال مجتمعين في جمعية البلدة ورجل ضرير يخطب فيهم، لم يكترث الصبي لما يراه أمامه فهو يدرك أنهم مجتمعون بسبب وفاة الطفلة الصغيرة بالأمس يقولون إنها سُحرت، ولكن ما شغل باله في ذلك الوقت هو أخوه الصغير، أقبل على منعطف الترعة ليمر على بيوت طينية حتى يصل إلى بيتهِ، شعر بنوعٍ من القلق في منزله فوجد أباه يسرع في وضع كتبه داخل حقيبته وأمه تهرول أيضًا في جمع ما تقدر عليه من مستلزمات البيت، تَسَلَّل داخل غرفة والده فشعر به الأب وابتسم ونفَر عما كان يفعله ثم اقترب من (المعتصم) وهو يحمل في يديه خاتمًا قديمًا ومجلدًا صغيرًا، أدخل الخاتم في إصبع ابنه وبعد ذلك فتح سحاب حقيبته المدرسية ووضع مجلدًا ورقيًّا صغيرًا ثم نظر إليه وقال:

- إذا جاءت نهايتي يا ولدي وأظنها قريبة لا تصدق ما قيل عني، وأنا لست بملاك ولا شيطان ولكني أريد أن أقول لك نصيحة، الناس يا ولدي في بلدتنا هذه يصنعون نار الشر وينَفَخون فيها حتى تعلو وترتفع لتحرقهم وبعد ذلك يحاولون إخمادها، ولكن ليس كل مرة ستُخمد النيران.. لقد أعطيتك هذا الخاتم المجيد وتركت لك هذا المجلد، فإذا كان حظك غير حظي فستكون من المُبشرين.

ترك الأب ابنه وعاد ليسرع في جمع أغراضه وخرج (المعتصم) وهو ينظر إلى الخاتم بغرابة،حينها سمع صوت جموع أهل القرية وهم يحاولون تكسير بابهم الخشبي مرددون «سنحرقك يارجل الشيطان، سنحرقك يا ساحر.. اكسروا الأبواب».

وقف الأب في حيرة من أمره ينظر يمينًا ويسارًا دون جدوى وخلفه زوجته وهي تحمل ولده الصغير، بينما (المعتصم) يراقب ذلك المشهد بارتعاد شديد ومعصم يده يرتعشُ كالمصعوق من الكهرباء، وفي أذنيه صوت صراخ أخيه وبعد لحظات معدودة كسر الباب وبدأوا يدفعون ويجرّون أباه على الأرض بلا رحمةُ غير مكترثَين لصرخاته المرعبة التي تدوي في أركان منزله هلعًا من مصيره المجهول ثم سحبوا أمه بهدوء رأفة بالطفل الصغير التي تحمله ولكنهم رغم ذلك يلعنونها بأقبح الألفاظ. بدأ الجموع بضرب أبيه بالسكاكين فسالت دماء أبيه وهو يصرخ من ألمه ،وبعد ذلك سكَبوا عليه البنزين.. حاولت أمه الدفاع عن زوجها ولكنهم سرعان ما قذفوها بعيدًا، وأشعلوا النار في أبيه وهم يصحيون قائلين:

- مُت يا عدو الله.

بكى (المعتصم) بحرقة وهو يحاول أن يطفئ النار عن أبيه برغم

النـار التـي تلتهـم جسـد أبيـه، ظـلَّ أهـل القريـة يهللـون ويدفعونـه للخلـف حتـى يحـترق أبـوه دون مسـاعدة أحـد فأصابتـه نـار أخـرى جعلـت أضلاعـه تحـترق وقلبـه تشـتعل بـه النـيران، كانـت عينـاه مشـتعلتين كالجمـر تقتـات الأسى حتـى تفحـم أبـوه أمـام عينيـه وصـدى صراخ أمـه والطفـل الصغـير يـدوي في أذنيـه يـدق كجـرس الكنيسـة. اجتمـع أهـل القريـة وحـاصروه وأمـه وأخـاه الرضيـع ولم يقَـرَّرواَ بعـد مـاذا يفعلـون بهـم حتـى تكلـم شـاب يافـع يدعـى (محفـوظ) وقـال:

- أظن أن هذا الصبي ممسوس.

صـاح الجمـوع مطالبـين بقتلـه بـدون رحمـة حتـى تكلـم والـد محفـوظ فهـو كهـلٌ ضريـرٌ حكيـم لحيتـه بيضـاء، نـال السـن مـن عافيتـه وهـو مشـهور في القريـة (الحسـنيةٌ) ويدعـى الشـيخ (سـعيد):

- دعوهـم يرحلـون، ولكـن حرمـت عليـكِ القريـة يا نَفيسـة أنـت وأولادك، وإذا رآكـم أحـدٌ في القريـة وعلمنـا.. سـيكون مصـيرك ومصـير أولادك مثـل زوجـك. أفهمـتِ يـا امـرأة؟ هـذا ليـس هـراء، هـذا أمـرٌ مـن عمـدة البلـدة الحـاج عطيـة الكيـال.

أنهى شروده في القطار على صوت أمه وهي تقول:

- أتأكل يا ابني؟

- لا أريد يا أمي، لا أريد.

ثـم تذكـر أمـر هـذا المجلَّـد والخاتـم الـذي يضعـه في يـده فمسـح عـلى الخاتـم بيـده وهـو يتأملـه بدهشـة، ثـم فتـح سـحاب حقيبتـه لـيرى مـاذا وضـع والـده، وجـد كتابًـا قديمًـا مغلفًـا بغـلاف جلـدي أسـود وبداخلـه ورقـة بهـا مجموعـة مـن الكلـمات فظـل يقرأهـا بعينيـه «لا سـبيل للتحـرر سـوى

بالتضحية والدماء والكذب والنفاق، لم يعد للمشاعر وجود بعد الآن ولا يوجد مكان للشفقة، الآن ليس لديك حرية الاختيار فأنت في مستقر أسياد الأرض وسلاطين الظلام.. أنت في أرض النعمان، فعليك الخضوع وتكون مسخًا لا يشعر لكي تتحرر». رفع حاجبه وهو ينظر للورقة بغرابة ولم يفهم ما قرأه للتو فوضع الورقة في الحقيبة مرة أخرى ثم نظر لأمه قائلًا:

- لمَ قتلوه يا أمي؟ وهل أبي ساحرٌ كما يزعمون؟ أجيبيني أرجوكِ.. أبي مَن سحر تلك الفتاة حقًّا!؟

اسْتَشَاطت أمه غضبًا وهي تعنفه:

- لا تتلفظ بهذا الكلام مرة أخرى وإلا دفعتك أسفل هذا القطار فلم أعد أحتمل هذا الكلام.

تحدث وهو ناظر لها بعينٍ قاتمة:

- لماذا؟ هل الحقيقة صادمة لهذه الدرجة؟ أجيبيني. أبي ساحر أليس كذلك؟ هو مَن قتل تلك الفتاة؟

ظل يطلق أسئلته لأمه حتى تكلم مرة أخرى بنبرة معاتبة:

- أنا لستُ صغيرًا يا أمي كفى.. كفى معاملتك بهذه الطريقة فأنا في سن الثانية عشرة والآن طردنا كالجرذان، ووالدي تمثل بجثته أمامي ورُمي في البيت وحُرق، حُرقَ ولم يرق قلب أحد، حرق والدي يا أمي ولم نعلم حتى الآن إلى أين وجهتنا.

نظرت له الأم باحثةً عن تلك الكلمات المُبعثَرة بذهنها ولا تستطيع تجميعها وبدا على تعابير وجهها ملامح الاضطراب قائلة:

- ليس كل ما تتمناه يا ولدي تدركه، وليس كل ما تتمناه هو خيرٌ

لـك، أحيانًـا يـا ولـدي يفعـل الشـخص منَّـا أشـياء ليسـت باختيـاره الحُـرّ دون أي ضغـطٍ عليـه أو إكـراهٍ، أتعلـم؟ خـيرًا عـلى المـرءِ أحيانًـا الصمـت، أريـد أن أصمـت يـا المعتصـم.

نظر إليها بغضب وهو يصيح في وجهها:

- وإلى متى سنصمت يا أمي؟ إلى متى؟

فنظـر بعـضٌ مـن الـركاب بدهشـة نظـرًا لصوتـه المرتفـع فخفـض صوتـه ثـم أخـذ نفسًـا عميقًـا وتنهـد قائـلًا:

- إلى أين نحن ذاهبون؟

- إلى خالتك.

- سننزل المحطة القادمة إذًا؟

أومـات برأسِـها بالإيجـاب في إشـارة منهـا أنهـا تريـد أن تلـوذ بالقليـل مـن الصمـت.

سـاد الصمـت لفـترةٍ ونظـر (المعتصـم) للحقيبـة مـرةً أخـرى ثـم حملَهـا وأفـرغ مـا فيهـا، فأخـرج المجلَّـد الصغـير الـذي وضعـه لـه والـده وفي نظراتـه بعـضٌ مـن الارتيـاب، تأمَّلـه ردحًـا مـن الزمـن ناظـرًا لـه بحـذرٍ شـديدٍ ثـم قـام بفتحـه وهـو يحـاول جاهـدًا فـكَّ تلـك الشـفرات الغريبـة.

خـرج (المعتصـم) مـن تركيـزه عـلى صـوت أمـه وهـي منفجـرة وتعلـو بعينيهـا نظـرات الخـوف والرهبـة:

- مِـن أيـن جئـت بهـذا الكتـاب الملعـون؟ ومَـن الـذي أعطـى لـك خاتـم أبيـك؟

أخـذت تتحـدث كثـيرًا دون فائـدة بعاطفـة الأم التـي تخـاف عـلى أطفالهـا

وتهلّل لتأخذ منه تلك الأشياء، ابتعد عنها (المعتصم) في خفة وترك الكرسي وهو يقبض بيده على الكتاب قائلًا:

- حقًا؟! أتظنين يا أمي أنني سأعطيك سر أبي بتلك السهولة؟ يجب عليكِ إخباري كل شيء قبل أن أفعل.

نظرت إليه أمه ولا يوجد لديها حيلة سوى أن تقص عليه ما يريده:

- حسنًا، سأروي لك حكاية أبيك من البداية، وكيف تزوجته حتى اليوم المشؤوم ولكن لدي شرط واحد!

نظر لها باندهاش متسائلًا:

- وما هو؟

- أن تعطيني الخاتم وهذا المجلد!

أومأ (المعتصم) برأسه وجلس على كرسيه مستمعًا لما ستقوله أمه باهتمام...

(الفصل الأول)

يقولـون إن الإثـم قـادر عـلى تحويـل حياتـك لجحيـم، ويقولـون إن بدايـة الفجـور واللعنـات تبـدأ بخطـوة واحـدة يعتـاد عليهـا المـرء حتـى تصبـح جزءًا لا ينفصـل عنـه، ولكـن النتيجـة دائمًـا تظـل واحـدة هـي الهـلاك والدمـار.

وُلـد (رجـب الطايـع) في قريـة (الضاحـي) وهـي مـن قـرى الأريـاف وكعـادة أهلهـا يتميـزون بالطيبـة وكـرم الأخـلاق، ولكنهـم أيضًـا تنتـشر فيهـم المفاهيـم الخاطئـة، وتلـك المفاهيـم تتحـول لعـاداتٍ وتقاليـد متداولـة يعتـادون عليهـا وتُعتبَر شـيئًا عاديًـا بالنسـبة لهـم برغـم عـدم صحتهـا وجهـل الأمـور التـي تثبـت أن تلـك الأفعـال ليسـت إلا حماقـات وسـفه، وأهـم المصطلحـات الفاسـدة في تلـك القريـة مصطلـح العـراف، اشـتهر بـه كل مـن تُسـوِّل لـه نفسـه وعمـل بالسـحر، السـحر الـذي صـار بمثابـة شـعار لقريـة الضاحـي وأمـر مسـلَّم بـه كالطعـام واللبـاس، إذا وجـدت في نفسـك عِلـة لا تذهـب إلى طبيـب بـل للعـراف، إذا سُرِقـت لا تذهـب إلى الشرطـة بـل اذهـب للعـراف، وإذا تعـدت ابنتـك سـن الخطبـة بالتأكيـد فعليـك وعـلى العـراف، باختصـار شـديد العـراف هـو مالـك مفاتيـح القريـة ومتربـع عـلى أعـلى قمـة في هرمهـا.

وفي مسـاء ليلـة بعـد صـلاة العشـاء قطـرات الأمطـار أضافـت لمسـةً حزينـةً في حُلكـة الظـلام، انسَـكب (رجـب) عـلى الأرض وهـو يسـدل أكـمام

جلبابه الفضفاض تاركًا فأسه من شدة التعب فهو يعمل في أرض أبيه مع أخيه (عثمان) تلك الأرض التي توارثوها لأجيال، مسح جبينه المليء بالبقع الداكنة وغمر في تفكيره بخيال جامح لمستقبل ابنه القادم، فزوجته (نفيسة) على وشك الولادة، لم يكن بينه وبين زوجته مودة فعلاقتهما لم تكن سوى زواج تقليدي أجبر عليه بدافع من والده (الطايع) حينما استثناه عن أولاده الأكبر منه سنًا وتقدم لخطبته من بنت عمه (نفيسة) ظنًّا منه أن إصلاح حال ابنه في زواجهُ وذلك بعدما علم أن (رجب) أدمن الخمر واتخذ أحضان البغايا الرخيصات مأوى له، ظل ساهيًا حتى سمع صوت أخيه (عثمان) يدوي بالصراخ والنحيب، فنهض من نومته على الأرض وبدأ يبحث برأسه يمينًا ويسارًا عن مكان الصوت وينادي:

- عثمان أين أنت؟

سمع (رجب) أنين أخيه آتيًا من خلفه فالتفَّ بجسده فوجد أمامه أشجار البرتقال فعزم على تخطِّيها وحمل فأسه وبدأ يجتاز الأشجار، وكلما ترجَّل ازداد صدى نشيج أخيه حتى اقترب منه فوجده صريعًا أرضًا ومستندًا بجسد على إحدى الشجيرات وبجانبه غراب شديد السواد فاندفع (رجب) إليه مسرعًا وحينما اقترب منه وجده يسعل والدم ينزف من فمه، وقبل أن يخطو خطوةً أخرى شعر بأن شيئًا يراقبه من خلف تلك الشجرة. ظلَّ يراقب الشجرة محتفظًا بتلك الأمتار الفاصلة بينه وبين (عثمان) وقال:

- عثمان ماذا يحدث؟

تأمل بغرابة ذلك الشيء الذي يقطن خلف الشجرة؛ فلاحظ شخصًا عيناه بيضاوان تلمع كالنجوم تنظر باتجاهه، لم يستطع (رجب) تمييز

ذلك الشيء الذي يُشبه الظل إلى حدٍّ كبيرٍ،خرج ذلك الظل من خلف الشجرة ورفع يديه للسماء فانبعث إليه سربٌ من الغربان، ثم تقدَّم بخطوات ناحية (عثمان) المُصرع أرضًا! وأصبح يردد كلمات غير مألوفة لمسامع (رجب) والغربان من فوقة تطير بشكل دائري، نبض قلب (رحب) نبضات متسارعة ليضخ خوفًا يجتاح روحه من أثر ما يحدث أمام عينيه، وفي لحظة انحنى الظل برأسه بشكل دائري ليحدق بـ(رجب)!، تسمر مكانه لثوانٍ من أثر الصدمة والخوف يتملكه من نظرة الظل التي تخترق قلبه قبل عينيه وجعلت الدم يتجمد في عروقه، ظلَّ يرجع بخطواته للخلف حتى صدرت من أخيه صرخة قوية مزقت أحشاء السكون، فبدأ يركض وهو ينظر وراءه مستمعًا لتلك الأصوات الآتية من خلفه، وفي غضون لحظات وجد الغربان تتبعه وهي تصدر نعيقها، ظلَّ يركض حتى غابَ الصوت فتوقف فجأة وهو مذهولٌ عندما وجد ذلك الظل بعينيه البيضاء في انتظاره على نحو بضعة أمتار فجفَّ حلقه وقال!

- مَن أنت؟ مَن أنت وماذا تريد؟

تقدَّم الظل خطوةً واحدة كانت كفيلة أن تجعله أمام عينيه، فتبددت أحشاؤه من الخوف عندما نظر لأعين الظل مباشرةً! وتسمر في مكانه وهو لا يقدر على الحركة وكأن لسانه قد عُقد وقلبه قد ذاب، الرؤية لديه أصبحت ضبابيةٌ ولم يقوَ على الصمود أكثر من ذلك فأغشي عليه!

استفاق من غيبوبته ليجد نفسه ملقى على الأرض وبجانبه أخوه (عثمان)، نهض (رجب) واتجه ناحية (عثمان) فوجده قد فارق الحياة، تحسس جسده، وعيناه تدور في كل اتجاه! حتى سمع صوت الغربان

مـرة أخـرى! فهـرب مـن الأرض سريعًـا وعـاد إلى بيتـه وهـو يهـرول ويزمـل ثيابـه، دفـع البـاب الخشـبي بسـاقيه وهـو يقـول شـيئًا واحـدًا:

- عثمان قُتِل، عثمان قُتِل أمام عيني!

صرخـت النسـوة التـي تقطـن في البيـت فسـمعهم الحـاج (الطايـع) مـن فراشـه وقـام مـن عـلى سريـره بهاجـس فجائيًـا كالملسـوع مـن النـار متسـندًا عـلى عصـاه، دلـف إليـه في خشـية مـما لا يـود سـماعه فاقـترب مـن (رجـب) الـذي كان يرتعـد بجسـده عـلى الأريكـة ملتفًـا بغطـاء قـماشي قائـلًا لـه:

- ماذا حدث؟

حدق (رجب) في عين أبيه وهو يقول متلعثمًا:

- الأرض.. الأرض..!

لم يفهـم (الطايـع) أيَّ شيء مـن صـوت اصطـكاك أسـنان ابنـه ورعبـه الشـديد، فأمـر ولـده (حسـان) أن يتجـه لأرضـه ليعـرف مـا حـدث، كانـت عائلـة الطايـع مـن أعيـان القريـة ويخشـاه عـددٌ لا بـأس بـه مـن أهلهـا بسـبب العموديـة والتـي انزاحـت عـن عائلتهـم فقـط قبـل عقـدٍ مـن هـذا الحـادث.

ظـل (الطايـع) متكئًـا على كرسيه بعباءته السـوداء وشـنبه الأشـيب الكبير واضعًـا يـده عـلى عصـاه محدقًـا في ولـده (رجـب) الـذي يتلـوى عـلى الأريكـة كالثعبـان، ولا يسـمع غـير أنـين بعـض النسـوة قلقـات عـلى ابنهـن (عثـمان)، لم يسـتغرق الأمـر الكثـير مـن الوقـت حتـى دق البـاب فعـمَّ الصمـت والهدوء الأجـواء، تحـرك (الطايـع) بخطـوات بطيئـة ناحيـة البـاب وعندمـا فتحـه وجـد (حسـان) ابنـه أمامـه ويبـدو عليـه أثـر الارتبـاك ويرتعـش بشـدة، نظـر لأبيـه وهـو يبلـع ريقـه بصعوبـة بالغـة: